الفصل السابع

كسوة الكعبة المعظمة

كسوة الكعبة المعظمة

قبل الإسلام

لقد ورد فى كثير من كتب الحديث والتاريخ ذكر كسوة الكعبة المعظمة وتعددها قبل الإسلام فى عهد إبراهيم عليه السلام إلى زمن البعثة النبوية ، وقد قيل أن "تُبَّع" أول من كساها الوصائل فسترت بها . وروى أيضاً أن إسماعيل عليه السلام أول من كساها وروى أن غير تبع وإسماعيل قد كساها .

وقد كسيت الكعبة المعظمة بالوصائل ، وهى ثياب حبرة من اليمن . وقد كساها "تبع" كسوة كاملة هذا ما كان من كسوة "تبع" للكعبة المشرفة .

وأما ما كان بعد "تبع" فكانت تتم كسوتها بالنسيج الأخضر والأصفر ، ومن أكسية الأعراب وشقاق شعر . وعندما كانوا ينحرون يأخذون الشعر والوبر ويستروا بها الكعبة.

وقد شوهدت شتى الأكسية على الكعبة من الوصائل والأقطاع والكرار والخز والنمارق العراقية ، والبرود النسيج اليمنى .

هذا ما كان من شأن الكعبة قبل الإسلام . وقد كانت تلك الأكسية تهدى إلى الكعبة للكسوة وما تبقى يحفظ فى خزانة الكعبة . فإذا بلى من كسوة الكعبة شئ جئ بغيره مكانه ثوب آخر ولا ينزع من عليها الكسوة القديمة . وكانت تطيب الكعبة من داخلها وخارجها . وكانوا يتجرون فى كسوة الكعبة . وقد أثرى بعضهم لدرجة أن أحدهم وهو أبا ربيعة بن عبد الله بن عمرو المخزومى قال "أننى وحدى أكسو الكعبة سنة وجميع قريش سنة بالتناوب" إلى أن مات وقد كسيت الكعبة بعد ذلك بثياب بيض .

مما سبق يتبين لنا مدى اهتمام العرب بكسوة الكعبة . وكان العرب يعتبرون أن ذلك من الواجبات أو الفضائل والمفاخر .

وقد كانت كسوة الكعبة مباحة لكل من يريد أن يكسوها .

كسوة الكعبة المعظمة
فى الإسلام

أخذت كسوة الكعبة فى الإسلام شكلاً آخر . وقد كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ثم كساها عمر وعثمان "القباطى" ثم كسيت بعد ذلك بالديباج فقد كساها الحجاج الديباج .

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كساها "القباطى" والحبرات . وقد كساها أبوبكر أيضاً .

ويروى أن... عمر بن الخطاب كسا الكعبة القباطى من "بيت المال" وقد كانت كسوة الكعبة تحاك وتطرز وترسل من مصر مرتين فى السنة وكانت تسلم القديمة عند عمل الجديدة .

وقد كساها معاوية بن أبى سفيان كسوتين . يوم عاشوراء ، وفى آخر شهر رمضان، وكانت تطيب لكل صلاة ، وكان يرسل لها الطيب والخدم.

ويقال أن أول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان . وكانوا يكسوها فى المواسم والأعياد - وفى يوم عرفة .

وكانت تهدى كسوة الكعبة وكانت تصنع من أحسن أنواع المنسوجات .

وقد كان عبد الملك بن مروان يبعث بالديباج فيمر به على المدينة المنورة فينشر يوماً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يطوى ويبعث إلى مكة المكرمة لكسوة الكعبة المعظمة .

ولما كانت خلافة المأمون إبن هارون الرشيد فى العصر العباسى رفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل حلول عيد الفطر . بعد ذلك كانت كسوة الكعبة ثلاث مرات فى السنة. وكانت تتجدد كلما بليت أو تخرقت . لأنها كانت من ألوان فبذلك تتعرض للاتساخ وكانت تبلى بسرعة وتتأثر بالجو ومس الناس .

وقد كسيت الكعبة المعظمة فى العصر الفاطمى بالديباج الأبيض والديباج الأصفر

والديباج الأخضر .

وأخذ الملوك يتداولون كسوتها . هذا وقد كثرت كساوى الكعبة وكانت تطيب بالمسك والعنبر من الداخل ومن الخارج .

وكانت تزخرف بشريط الطراز وكان بخيوط الفضة ثم بخيوط الذهب وكان يعمل فى دور الطراز بمصر وتكتب عليه الآيات القرآنية والشهادتين والأدعية وخلاف ذلك . وفى الوقت الحاضر يسمى شريط الطراز بحزام الكعبة . وهو الشريط الذى يلف حول كسوة الكعبة.

وقد جاء فى وصف ابن ميسر لكسوة الكعبة التى أمر المعز لدين الله عملها إذ يقول: وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسية التى عملها للكعبة وسعتها إثنى عشر شبراً فى إثنى عشر شبراً وأرضها ديباج أحمر ودورها إثنى عشر هلال ذهبية فى كل هلال أترجة ذهب مشبك جوف كل أترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وفيها كتابة دورها آيات الحج زمرد أخضر وحشو الكتابة در أبيض كبار لم ير مثله" .

مما سبق يتضح لنا أن الوصف السابق لكسوة الكعبة مثال صادق لروعة التطريز مع الأحجار الكريمة وتفوق مثيلها فى هذا العصر ومنذ ذلك الوقت لا يزال المكان الذى كانت تشغله دار الكسوة بحى الحسين بالقاهرة يحمل هذا الإسم .

مما تقدم يتضح لنا أن كسوة الكعبة المشرفة كانت على درجة كبيرة جداً من الأهمية. وكانت على أنواع وأشكال مختلفة وذلك حسب رغبة ولاة الأمر وذلك فى مختلف العصور التاريخية .

وقد كساها الناصر العباسى - وهو معاصر لصلاح الدين الأيوبى الذى فتحت القدس فى حياته . ثوباً أخضر ثم ثوباً أسود ومنذ ذلك التاريخ احتفظ باللون الأسود للكسوة. وأول حاكم سعى إلى كسوة الكعبة المشرفة بعد انقضاء دولة العباسيين هو الملك الظاهر

بيبرس .. ثم كساها الملك المظفر ملك اليمن عام ٦٥٩هـ واستمر يكسوها بالتعاقب مع ملوك مصر .

وفى عام ٧٥١هـ أوقف الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر وقفاً خاصاً لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة وكسوة داخلية حمراء وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات .. ولكن محمد على باشا حل ذلك الوقف فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وأصبحت الكسوة تصنع على نفقة الحكومة.. واختصت تركيا ومن يتولى السلطنة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية وكسوة الحجرة النبوية الشريفة .

الإحتفال بكسوة الكعبة ورحيل المحمل :

أما عن حفلة رحيل المحمل والحجاج من مصر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة فكانت تقام إحتفالات فى هذه المناسبات الدينية يحضرها رجال الحكم والأعيان ، وتحتشد الجماهير فى الطرق والميادين حيث تقام الألعاب المختلفة ، وتضاء الأنوار والمشاعل عندما يخيم الليل .

أما عن خروج المحمل فكان يجرى الإحتفال به عادة فى النصف الأخير من شهر شوال من كل سنة . يجتمع لذلك فى ميدان القلعة بالقاهرة ، الوالى أو نائبه ، وكبار رجال الدولة وأمير الحج ، والعلماء . ثم يمر الجمل الذى كان يحمل المحمل وبطبيعة الحال عليه الكسوة وخلافها فى شوارع القاهرة الكبرى وتسير الجمال تحمل روايا الماء والقرب ثم طوائف الجند وخلفهم أمير الحج ، ثم رجال الطرق الصوفية ، يحملون البيارق ، والطبول، والزمور ، ومن خلفهم المحمل ، والناس على جوانب الطريق ، أو سائرون خلفه يتبركون به.

وكان يحتفل بعودة المحمل أيضاً ، عندما يتيسر للحجاج ، وأميرهم أن يعودوا . هذا واستمرت مصر فى إرسال الكسوة وبصفة مستمرة إلى وقت قريب .

ولما كان المغفور له جلالة الملك عبد العزيز مهتماً برعاية الحرمين الشريفين أمر

جلالته فى مستهل شهر محرم سنة ١٣٤٦هـ بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل وافتتح مصنع كسوة الكعبة فى منتصف العالم نفسه وتم إنتاج أول كسوة للكعبة المشرفة فى أم القرى ليصبح هذا الشرف العظيم للمملكة العربية السعودية واستمر المصنع حتى عام ١٣٥٧هـ ينتج ثوب الكعبة المشرفة .

ورغبة فى إتقان هذا العمل وإظهاره بالصورة التى تتلاءم مع قدسية الكعبة المشرفة صدر أمر المغفور له جلالة الملك فيصل رحمه الله فى عام ١٣٨٢هـ بتجديد مصنع الكسوة وفى عام ١٣٩٧هـ تم افتتاح المبنى الجديد بأم الجود وزود بماكينات تحضيرات النسيج الآلية وأحدث قسم النسيج الآلى مع الإبقاء على أسلوب الإنتاج اليدوى لما له من قيمة فنية عالية .. وما زال المصنع يواكب عجلة التطور وإحياء التراث العريق فى آن واحد لينتج كسوة البيت فى أبهى صورها .

كسوة الكعبة المعظمة
بمصنع الكسوة بمكة المكرمة

تنسج الكسوة من الحرير الطبيعى الخالص المصبوغ باللون الأسود وقد نقش عليه بطريقة الچاكار عبارات "لا إله إلا الله محمد رسول الله - الله جل جلاله . . سبحان الله وبحمده . . سبحان الله العظيم" .

ويبلغ إرتفاع الثوب ١٤ متراً ويوجد فى الثلث الأعلى من هذا الإرتفاع حزام كسوة الكعبة بعرض ٩٥ سنتيمتر كتب عليه آيات قرآنية مختلفة بالخط الثلث المركب محاطة بإطار من الزخارف الإسلامية ويطرز الحزام بتطريز بارز (بأسلوب السِيرما) مغطى بسلك فضى مطلى بالذهب ، ويحيط الحزام بالكسوة كلها ويبلغ طوله ٤٧ متراً وعبارة عن ١٦ قطعة ، كما يوجد تحت الحزام على الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية ، وعلى الإرتفاع نفسه وتحت الحزام أيضاً توجد ٦ آيات من القرآن مكتوب كل منها داخل إطار منفصل وفى الفواصل بينها يوجد شكل قنديل كتب عليه "يا حى يا قيوم" أو "يا رحمن يا رحيم" أو "الحمد لله رب العالمين" .

وكل ما تحت الحزام مكتوب بالخط الثلث المركب ومطرزاً تطريزاً بارزاً ومغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب .

أما ستارة باب الكعبة ويطلق عليها البرقع فمصنوعة من نفس القماش الحرير الأسود نفسه وارتفاعها سبعة أمتار ونصف المتر وعرضها أربعة أمتار مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية مطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب .

وتبطن الكسوة كلها بقماش خام متين بما فى ذلك الستارة وتتكون من خمس قطع، أربعة منها تغطى كل واحدة وجهاً من وجوه الكعبة والخامسة هى الستارة التى توضع على الباب ويتم تجميع هذه القطع على الكعبة نفسها بعد خلع الثوب القديم .

مراحل تصنيع الكسوة

التصميم :

إن التصميمات الفنية والخطوط المكتوبة على الكسوة ليست ثابتة بل تتغير من وقت إلى آخر بغرض الحصول على ما هو أفضل . ويقوم المصمم بعمل دراسات للزخارف والخطوط فى الفن الإسلامى ويسجل أفكاره فى "اسكتشات" سريعة يلى ذلك وضع تصميمات مدروسة ترسم رسماً دقيقاً فى المساحة المطلوبة ويتم تلوينها وتحبيرها تمهيداً للتنفيذ . وتشمل التصميمات تصميم الزخارف والخطوط المطرزة على الحزام والستارة وتصميم الزخارف النسجية المنفذة على أقمشة الچاكار للكسوة الخارجية أو الداخلية ، وتعد رسوم تنفيذية على ورق مربعات خاص بذلك تتم ترجمتها إلى ثقوب على ورق كرتون خاص يركب فيما بعد على ماكينة الچاكار حيث تحدث الثقوب حركة الخيوط إلى أسفل وإلى أعلى مشكلة الزخارف المصممة نفسها .

أما التصميمات التى سيتم تطريزها على قماش الكسوة فهى تنتهى إلى قسم الطباعة.

مرحلة الطباعة :

فى قسم الطباعة يتم تجهيز المناسج ، والمنسج عبارة عن أربعة أضلاع من الخشب يثبت عليها قماش خام ويشد عليه قماش أسود سادة غير منقوش من قماش الكسوة ويقسم إلى تقسيمات مختلفة حسب التصميمات المطلوبة طباعته بعلامات ضبط . وتتم الطباعة بأحبار تعد من خلال الشبلونات أو الشاشة الحريرية وهذه الشبلونات يتطلب إعدادها جهداً فنياً ، وتشبه قوالب الطباعة المعروفة لدى الكثيرين ، ومما هو جدير بالذكر أن الطباعة هنا لا يمكن أن تتم إلا بطريقة يدوية نظراً لإتساع الرقعة المطلوبة ، وتعرف طباعة المنسوجات ذات الأبعاد الكبيرة بطباعة (البصمة) وهى نمط فريد يتطلب الدقة .

وقد كانت التصميمات المنفذة بالتطريز تنقل إلى الأقمشة سابقاً بطريقة تسمى

(الترب) وهى طريقة بدائية متبعة قديماً ، وقد أحدثت إدارة المصنع قسم الطباعة ضمن الجهود المستمرة لتطوير الإنتاج .

مرحلة التطريز :

بعد إنتاج الأقمشة وبعد أن تتم طباعة النسيج السادة منها نأتى إلى ما يميز ثوب الكعبة المشرفة وهى التطريز . وتتم عملية التطريز الفريدة أولاً بوضع خيوط قطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على الأقمشة المشدودة على النسيج بحيث تشكل بروزاً عن مستوى سطح القماش ثم يطرز فوقها بخيوط متراصة من القطن الأصفر فى اتجاهات متقابلة وبدقة بالغة ليتكون الهيكل الأساسى البارز للتصميم ، ثم يغطى هذا التطريز بأسلاك من الفضة المطلية بالذهب ، فيتكون فى النهاية تطريزاً بارزاً مذهباً يصل إرتفاعه فوق مستوى سطح القماش إلى حوالى ٢ سنتيمتر الأمر الذى يستحيل تنفيذه بأى ماكينة على الإطلاق ، وتعمل الأيدى دون ملل أو تعب فى تنفيذ تحفة فنية رائعة يتجلى فيها روعة الإتقان ودقة التنفيذ . (أسلوب السيرما) وهذا النوع من الأساليب التركية الأصل فى التطريز .

ويتم أخيراً تجميع الأقمشة الچاكار بجانب بعضها إلى جانب بعض مع المحافظة على التصميم الموجود عليها فى مجموعات بحيث تشكل كل مجموعة جانباً من جوانب الكسوة كما تثبت على كل جانب الآيات المطرزة على الإرتفاعات المحددة لها ثم يبطن كل جانب بأقمشة القلاع القوية فتزيد من متانتها وقوة تحملها ، وهذا ما ينطبق أيضاً على ستارة باب الكعبة فيتم تجميع خمس قطع مطرزة تشكل التصميم الموضوع بعضها بجانب بعض فى اتجاه رأسى وتبطن أيضاً ، وعلى هذا تكون كسوة الكعبة جاهزة لتركيبها على الكعبة المشرفة فى التاسع من شهر ذى الحجة من كل عام يوم يقف الحجاج بعرفات حتى إذا أفاضوا وطافوا طواف الإفاضة حول البيت ظهرت الكعبة فى حلتها الجديدة اللائقة بمكانتها العظيمة .

ومما لاشك فيه أن الجهد متواصل والتفكير لا ينقطع نحو تقديم المزيد من الإمكانيات والطاقات لسائر أقسام المصنع . وفى سبيل إهداء بيت الله الحرام كسوة تناسب مكانته فى نفوس المسلمين . ولعل أى زائر لمصنع كسوة الكعبة يدرك تماماً بعد مشاهدة جميع أقسام المصنع مدى الجهد المبذول فى صمت .

النسيج :

كان المصنع يصنع سنوياً ثوب الكعبة المشرفة فقط ثم بعد تطوير هذا الجهاز استطاع المصنع أن يقوم فيما يخص النسيج بالآتى :

١- عمل ثوب الكعبة الخارجى كما هى العادة بعد تطوير العمل فيه وتوحيد حجم الكتابة لتظهر تناسقاً جميلاً على الكعبة .

٢- عمل الستارة الداخلية للكعبة المشرفة بنوعية جميلة ومتطورة .

٣- عمل ستارة خاصة بدرجة عالية من الدقة والإتقان (الستارة الداخلية) .

٤- عمل النسيج السادة - لتغطية صناعة الهدايا والأحزمة .

٥- عمل ثوب كامل إحتياطى .

الصباغة :

جميع الأعمال التى سبق ذكرها بالنسبة للحزام والنسيج لابد أن تمر على قسم الصباغة. هذا بالإضافة إلى صبغ الخيوط الخاصة بعمل الحزام والهدايا .

الستارة الداخلية :

تم إحداث هذا القسم عندما صدرت التعليمات بعمل ستارة للكعبة المشرفة ، وقد رئى أن يكون العمل فى هذا القسم يدوياً لدقة العمل ولكون الستارة يتم تركيبها عدة أعوام وتم اختيار أحد المواطنين ليكون رئيساً لهذا القسم وقد أثبت قدرته على تذليل كثير من العقبات الفنية واستطاع ابتكار عدة طرق لتطوير العمل فى مجال اللف والماكينات اليدوية المستوردة .

ستارة باب الكعبة المشرفة

وضعت الستارة المنقوشة لأول مرة على باب الكعبة المشرفة عام ١٣٨٠ هـ/ ١٤٠٧م واستمر وضعها منذ ذلك التاريخ وحتى الآن .

وتتكون الستارة من أبعادها الخمسة معاً ارتفاع ٦٥٠ سنتيمتر × ٣٥٠ سنتيمتر.

والأربعة قطع تحتوى على بعض الآيات القرآنية . أما القطعة الخامسة فهى قطعة الإهداء ، وهى القطعة التى توضح مكان صنع الستارة واسم خادم الحرمين الشريفين وهو لقب يطلق على ملك المملكة العربية السعودية بإعتبارها الدولة التى ترعى الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية فى هذه البلاد وهو الذى يقوم بإهدائها إلى الكعبة المشرفة.

أما العبارة المكتوبة على هذه القطعة فهى :

صنعت هذه الستارة فى مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود .

"تقبل الله منه"

تسليم كسوة الكعبة المشرفة
إلى كبير سدنة بيت الله الحرام

إعتادت وزارة الحج والأوقاف فى موسم كل حج أن تجرى إحتفالاً سنوياً بتسليم كسوة الكعبة المشرفة إلى كبير سدنة بيت الله الحرام .

ويقوم بتسليم الكسوة وزير الحج والأوقاف ويحضر الإحتفال لفيف من المسئولين بالوزارة والدوائر والمصالح الحكومية بالعاصمة المقدسة وفى موسم الحج يبدأ الحفل الدينى الكبير بتسليم الكسوة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن كسوة الكعبة المشرفة ليست عملاً بسيطاً ولكنه عمل شاق تتم صناعته يدوياً وبخيوط الحرير والكتابات القرآنية فيها تصنع من الفضة والذهب المقصب .